اللغة العربية بين عراقة الماضي واضطراب الاستعمال المعاصر

أ.د كمال لعور

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف، laouer.kamel@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2024/04/06 **تاريخ المراجعة:** 2025/05/12 **تاريخ القبول:** 2025/05/19

ملخص

تتسم اللغة العربية بعراقة أصلها وقدرتها على الاستيعاب والتطور والتوسع بالاشتقاق، وتنطوي على سعة معجمية عديمة النظير، وفي مقابل ذلك أضحى بعض أهلها لا يركنون إلى ما قررته كتب النحو وأمهات المعاجم العربية، وما تواضعت عليه المجامع المشرعة، فمن العرب المعاصرين من لم يعد يمتلك الحاسة اللغوية التي تربطه ربطا صحيحا بلغته الأم، فكثر اللحن، واستفحل الخطل، وشاع الخطأ في الاستعمال العربي المعاصر المبرُر أحيانا بتعميم قاعدة أفضلية الخطأ المأثور على الصواب المغمور، إلى جانب استشراء العجمة في استعمال الألفاظ والتعابير لغير ما وضعت له من معان لأسباب عدة سنحاول الكشف عنها، حتى أضحى البون شاسعا بين لغة عبقرية في أصلها، ثرية بذخيرتها، وَلّادة بصيغها، وخطاب معاصر يكاد يفسد العربية، ويُصيرها لغة ثالثة لا هي فصحى فترتقي، ولا هي عامية فتنساق في مظانها.

الكلمات المفاتيح: فصاحة، عجمة، لغة، اضطراب، نحو.

The Arabic Language between the Elegance of the Past and the Turmoil of Contemporary Usage

Abstract

The Arabic language is characterized by its ancient origins and its ability to absorb, develop and expand through derivation, and it contains an unparalleled lexical breadth. In contrast, some of its people no longer rely on what is decided by grammar books and major Arabic dictionaries, and what is agreed upon by the legislative academies. Some contemporary Arabs no longer possess the linguistic sense that properly connects them to their mother tongue. Thus, incorrect grammar has become widespread, errors have become rampant, and mistakes have become widespread in contemporary Arabic usage, sometimes justified by the generalization of the rule that the traditional error is preferable to the obscure correctness. In addition, foreignness has become rampant in the use of words and expressions for meanings other than those for which they were intended, for several reasons that we will try to uncover. The gulf has become vast between a language that is genius in its origins, rich in its treasures, and generative in its forms, and a contemporary discourse that is almost corrupting Arabic and turning it into a third language that is neither classical to advance, nor colloquial to fall into its proper places.

Keywords: Eloquence, foreign, language, disturbance, grammar.

المؤلف المرسل: أ.د كمال لعور، laouer.kamel@yahoo.com

مقدمـــة:

دأب المُستعمر في كل دولة يحتلها على أن ينشر لغته ويفرضها بقوة السلطان، ويقهر لغة الدولة المُستعمَرة، وعلى غرار الفرنسيين الذين رددوا أن اللغة هي الجنسية، وليست مجرد أداة كما يدعي بعض المتفيقهين، والجزائر واحدة من البلدان التي حاول المُستعمِر أن يهيمن على ثقافتها ولغتها، واستعمل كل الأساليب لفرض بيارقه، لكنه لم ينجح في سعيه إلا قليلا، إذ عادت الجزائر بعد الاستقلال إلى لغتها العربية تدافع عنها، كما دافع عنها العلماء المصلحون[1] أثناء الاحتلال، ولقد كان تركيز النفوذ الأجنبي على اللغة العربية هو بمثابة الحرب على القرآن الكريم نفسه، فإنه إذا نزلت اللغة إلى مستوى في هابط البيان، واستمرت على ذلك التنازل، فجاء اليوم الذي يبدو فيه بيان القرآن، وكأنه مختلف وغامض لارتفاعه عن مستوى اللغة العامة، وعند ذلك ينفصل القرآن عن لغة الكتابة ويقرأ بقاموس ويتحقق هدف النفوذ الأجنبي بعزل اللغة العربية[2]؛ ومعلوم أن علاقة العربية بالنص المقدس عضوية بلا ريب، فعلى مثاله وضع نحو العربية إذ كان القرآن أول مصادر الاحتجاج في إقامة صفة العربية، ولتصحيح أداء العرب وغير العرب للذكر الحكيم.

ونجحت بعد الاستقلال مهمة التعريب في بعض المجالات، لكننا بتنا هذه الأيام أمام خطر آخر هو اضطراب الاستعمال، وكثرة اللحن والخطأ في العربية من دون وجود العلة الأولى وهي المُستعمِر، لكن في ظل وجود لغاته الأجنبية، ونزوع المتعلمين نحوها بنهم يقابله تقاعس عن الإلمام باللغة الأم، وإذا كان التسّري واختلاط العرب بالأعاجم في سالف الزمن مدعاة اللحن وشيوع الخطأ، فإننا اليوم نرى التراخي والتهاون وتحقير اللغة الأم سببا مباشرا فيما اعتور اللغة من عيوب وعلل وعاهات تكاد تحيق بها، فما أسباب هذا البون الشاسع بين التاريخ والواقع اللغوي؟ لِمَ لَمْ ترتق لغتنا العربية كفاية لتعبر عن روح العصر، وعن العلوم الطبية والصيدلانية حتى في وجود معاجم علمية؟ وما هي الحلول والإجراءات الكفيلة باستعادة مجدها الغابر وعبقريتها السّديمة؟[3].

لذلك وضعنا المقال للكشف عن سبل تطوير اللغة العربية، والحفاظ على سلامتها من العَثَيان كما قررها اللغويون العرب والجزائريون، وقد استندنا على منهج وصفي يستعرض القيم الفاضلة للغة العربية، ثم يستظهر مظاهر اضطراب الاستعمال المعاصر، وينتهي إلى الحلول الناجعة لرفع مستوى الاستعمال لمقام العراقة، كما نسعى في سياق بحثنا إلى تبيّن مواطن ارتكاز اللغة العربية تشجيعا على الارتقاء بها، ونتبين أسباب الاضطراب اللغوي وبعض مظاهره، ثم نحاول تعداد بعض الحلول كما صدح بها اللغويون، ونخص بالذكر الدكتور عبد الملك مرتاض، الذي لم يتوان عن تبيان اضطرابات الاستعمال المعاصرة في لغة العوام والخواص على حد سواء، ونسوق أمثلة على سبيل التدليل لا الحصر لما يختبط فيه الخطاب المعاصر بالأخص لدى بعض الإعلاميين، فقد شنّفوا الأسماع بالأخبار، ولكنهم وأدوا أصول اللغة، وراكموا في تعابيرهم الصواب والخطأ، ونزعوا إلى اللحن نزعا، فأضحى الواحد منهم يتعامل مع اللغة كأنها ملك خاص، أو سقط متاع، وتسلّلت الظاهرة أيضا للمربّين والمُدرّسِين الذين غمرهم همّ التوظيف، فنكبوا عن التحصيل العلمي والمواكبة للراهن اللغوي، فصاروا عونا على اضطراب الاستعمال بدل أن يكونوا سدنة لحفظ اللسان، ورفع قيمة البيان.

1- عراقة أرومة اللغة العربية: اللغة هي مفتاح المعرفة على حد تعبير البحاثة عبد الملك مرتاض، فبدون لغة ناهضة راقية طيّعة فتيّة، ذات قابلية للتعامل مع المفاهيم الحضارية والإتقانية، لا يجوز أن توجد أمة ناهضة، فكل أمة ناهضة وراءها حتما لغة ناهضة[4]؛ ولا يجوز للغة إلا أن تكون مرآة حقيقية للمستوى الحضاري الذي بلغه الناطقون بها، فهي مرآتهم المجلوة التي فيها ينعكسون، وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة كما يقول الرافعي وكانت

أمتها حريصة عليها ناهضة لها، وتسعى فيها مكبرة شأنها، دلّ ذلك على روح السيادة في شعبها، وإذا أردنا أن نحصي قيم اللغة العربية، وأفضال الأسلاف عليها لما وسعنا التعداد ولا الحصر، فالعرب الأقدمون هم أول من وضع أبجدية في التاريخ وهي (أبجد هوز حطي، كلمن، سعفص، قرشت)، اثنان وعشرون حرفا واثنتان وعشرون علامة[5]، "وذلك منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، كما تبين آخر الدراسات العلمية الحديثة، فقد تكشفت لنا حقيقة وهوية لغتهم المحكية منذ ذلك الزمن الموغل في القدم، وذلك قبل أن يوجد (سام بن نوح) نفسه بعدة مئات، إن لم يكن بعدة آلاف السنين"[6].

والعربية فيها اليسر والمرونة وسخاء الاشتقاق، ووضع لها أسلافنا الضوابط السليمة والقواعد النحوية والصرفية وألفوا المعاجم التي جمعت شتات اللغة، وضمت مفرداتها في نظام دقيق محكم، ثم ألفوا كتب البلاغة، والنقد لترعى مقاييس الجمال في التغييرات الأدبية وتُوازن بينها[7]؛ واللغة العربية قد وَسِعت القرآن الكريم، وكتبت بها المعلقات، وترجمت بها في العصر الذهبي العباسي والأندلسي آلاف الكتب، وهي التي تعرف تطورا مستمرا وإن كان محتشما بإضافة آلاف الكلمات الجديدة إلى المعجم اليومي والإعلامي والمدرسي، كما عرفت تطورا في حقل الدلالة المعجمية[8]؛ وهي لغة عالمية إذ إن أكثر من ثلاثين دولة شرقية تكتب لغاتها بأبجديتها، وأهل الغرب أخذوا أسماء ما اخترع أجدادنا بالعربية مباشرة مثل الصفر والجبر والكحول واللوغاريتم، والصناعة، وكذا مصطلحات أدبية مثل المقامة، كما أن النهضة الحضارية العربية الإسلامية "لم تكن إلا بعد نهضة لغوية عجيبة، وفي أسوأ الأحوال لا نجد النهضة العلمية إلا مواكبة أو مزامنة للنهضة اللغوية"[9].

وفوق ذلك استولت بعض الأمم على قواعدها النحوية، فراجت لغتهم، ولم يكلفوا أنفسهم عناء الاعتراف بذلك، فقد أشار بعض الباحثين اليهود في أعقاب ندوة منعقدة بجامعة ستراسبورغ أن اللغة العبرية لم تكن لها قواعد نحوية تضبطها بل كانت بدائية لا تختلف عن أي لهجة من اللهجات، حتى سنة 1948م عندما أنشأوا الكيان الإسرائيلي، ففزعوا إلى النحو العربي ليطبقوه حرفيا على اللغة العبرية، فأسسوا قواعدها من خلال نحو العربية، بحكم اشتراك اللغتين في الأصول السامية، وصارت لغتهم لغة البحث العلمي بعد أن كانت لغة الصلوات وتأبين الأموات[10]؛ كما كان المثقفون اللاتينيون في القرون الخالية يحاولون التفاصح بها في أحاديثهم كما يتفاصح اليوم بعض المتعلمين بالألفاظ الأجنبية ليظهر تطوره[11].

يرى بعض المتفائلين اللقاء الحضاري بين اللغة العربية والحضارة الأوربية الحديثة منذ بداية النهضة العربية الحديثة نقطة تحول حاسمة طرحت قضية التعبير عن العالم الحديث والحياة الحديثة والمؤسسات العلمية والثقافية باللغة العربية، وهناك عدة وسائل أفادت منها العربية لتكوين مصطلحات العلوم، وألفاظ. الحضارة الحديثة، وأهم هذه الوسائل: الاقتراض، والتغير الدلالي، والاشتقاق، والنحت، والتركيب[12]؛ وإذا كان الأوربيون قد فرقوا بين اللغة العربية المستعملة في النصوص المقدسة والطقوس، وبين اللغة التي يتكلم بها الناس في حياتهم اليومية ومصالحهم الخاصة، فإن الفصحى ليست هي اللغة اللاهوتية أو لغة العبادة فحسب ولكنها تجمع بين الغرضين، كذلك فقد جمعت اللغة العربية بين الأسلوب الديني والأسلوب العلمي وعبارة لغة الدين عبارة كهنوتية لا تنطبق على العربية وهي مرتبطة بالمسيحية في الغرب[13]؛ لكن أيمكن للغة ناهضة حية متطورة متطلعة متحفزة إلى التعبير عن كل مستجدات المعرفة والتقانة لعصرها وغير عصرها أن يتوقف بها المسار لدى القرن الثامن للهجرة؟![14]

والعربية كما هو معلوم هي واسطة القرآن إلى كل عقل، الباقية ببقائه والخالدة بخلوده، وهذه حقيقة ملزمة لكل مسلم مؤمن مخلص – عربيا كان أم غير عربي، إذ لا يمكنه أن يتقبل القرآن من حيث هو كتاب إلهي، ويصدر عنه من حيث هو قرآن عربي، فهذه الصفة الثابتة نص قرآن ملزم لاعتقاد المسلم، أيا كانت لغته، وقوميته[15]؛ فالعربية من أدق اللغات في التعبير عن خلجات النفوس، وتحوز على تفاريق دلالية دقيقة وتخاليف تفصيلية لطيفة في إطلاق التسميات وفي نعت الأوصاف على حد تعبير عبد الملك مرتاض[16]؛ وهي في كل ذلك قادرة على استيعاب الوافد واستساغته وتطويعه حتى يصبح متساوقا مع الأساليب العربية وألفاظها.

وإذا ذهبنا نتتبع تاريخ اللغة العربية ونحوها وصرفها وقواعدها وكلماتها وتراكيبها، فسوف نكتشف أنها ثابتة لم تتغير منذ القديم الغابر، وكل ما حدث أن نحوها كان يتسع من حيث المحصول والكلمات والمفردات، كلما اتسعت المناسبات، ولكنها ظلت حافظة لكيانها وهيكلها وقوانينها، ولم تجر عليها عوامل الفناء والانحلال أو التشويه والتحريف، "وهو ما لم يحدث في اللغات الأخرى التي دخلها التحريف والإضافة والحذف والإدماج والاختصار، وتغيرت أجروميتها مرارا، وفي اللغة الألمانية القديمة نجد لغة فصحى خاصة بالشمال غير اللغة الفصحى الخاصة بالجنوب، ونجد أجرومية مختلفة في اللغتين.. ونجد التطور يؤدي إلى التداخل والإدماج والاختصار والتحريف والتغيير في القواعد.. ونفس الشيء في اللاتينية وأنواعها وفي اليونانية وفي الأنجلوساكسونية.. ولهذا اختار الله اللغة العربية وعاء للقرآن لأنه وعاء محفوظ غير ذي عوج"[17].

وكانت عبقرية اللغات الغربية الحية تقوم على توظيف السوابق واللواحق في ابتكار المسميات والمصطلحات والمفاهيم الجديدة، وتركيزها على النحت والتركيب المزجي، وتشترك معها العربية في هذين العنصرين الأخيرين، وتتفوق عليها في تناول المعاني متدرجة في مراتب دلالية معتمدة في معجميتها على الأمثلة والأبنية والصيغ منوعة في أغراض وأهداف ووظائف الحقول الدلالية[18]؛ ومن عبقريتها أيضا تنويع الصيغ لتدقيق الدلالات في الجمع واسم الفاعل ومصدر الفعل الثلاثي مع ضيق حيز ذلك في اللغات الأوروبية، فهي لغة ذكية مطواع قادرة على الأداء والعطاء، وقد وضع العرب قديما كتبا كثيرة لتتبع الأخطاء التي يقع فيها الكتّاب والمتكلمون سواء كانوا من الخاصة أو العامة حرصا منهم على حفظ اللغة، وتنبيه الناشئة، وحماية اللسان من العدول عن الصواب، ومن بين ما تزخر به مكتبة العرب كتاب ما يلحن فيه العوام للكسائي، وما تلحن فيه العامة لأحمد بن حاتم الباهلي، إصلاح النطق لابن السكيت، وما يلحن فيه العامة للمازني، والفصيح لثعلب، وكتاب درة الخواص في أوهام الخواص للحريري، وما تواتر عنه من شروح لشهاب الدين الخفاجي، وابن ظفر وابن بري، وأبو منصور الجواليقي[19].

2- اضطراب الاستعمال اللغوي: برز في السنوات الماضية جيل من المثقفين لهم طابع غربي ينظرون في تقدير عجيب للغرب وتاريخه وأعلامه ويزدرون تاريخ أمتهم وقيم فكرهم وهم لم يقرؤوه إلا عن الاستشراق والتبشير، وكان فرض اللغات الأجنبية في مختلف أقطار الأمة الإسلامية عاملا مهما في فرض ثقافاتها، ووجهة نظر أهلها، وفي الوقوف موقف الإعجاب بالغاصب، والعجز عن مواجهته[20]؛ وشاع في ظل ذلك اضطراب الاستعمال في لغتنا العربية في السنوات الأخيرة بصورة مطردة ومقلقة في آن واحد، مما خفّض قدر العلية، ووصم ذا الحلية على حد تعبير الحريري[21]؛ كما منيت الأمة بتوظيف العامية بدل الفصحى، وصار الأمر يتسلل "إلى حجرات الدرس ومناقشة المذكرات والمحاضرات والندوات والخطب الدينية وغير الدينية والإعلانات التجارية"[22]؛ كالذي نشهده من هذه الإعلانات المضاءة المكتوبة بالعامية وهي تستشري، على الرغم من أنها ينبغي أن تكون مستهجنة؛ إذ

كيف نكتب لمن لا يقرأ؟ وذلك أن العامية إنما هي نمط من خطاب المشافهة، وليس لها نظام كتابي متعارف عليه[23].

وامتدت العلل إلى ميدان التعليم، فلا يزال إخراج الكتاب المدرسي العربي لا يرقى إلى مستوى إخراج أي بضاعة مزجاة في السوق، ولا يزال تعليم العربية متروكا لمسار التراكم العفوي حتى كأن معلم العربية معلم غير مختص، ولا يزال كل ناطق بالعربية من سائر المعلمين يظن أنه قادر على تعليم العربية، وقد أدركت آفة الضعف معلمي العربية أنفسهم، وانتقلت عدوى الضعف إلى التلاميذ، ودخلت العربية في مدار من الضعف كأنه الحلقة المفرغة[24]؛ كل ذلك وغيره كثير أدى إلى تقاعس عن تعلم لغة عربية صحيحة، وأصاب اللغة في مقتل، فذلت وما ذلت لغة شعب إلا ذل كما يقول الرافعي، ويفرق الباحثون بين لغة يصطنعها المتمكنون من ناصيتها[25]؛ تتسم بالرقي والحصافة، ولغة أقل منها شأنا، يكثر استعمالها، ويقلّ غناها اللغوي، يشير بعض الدارسين إلى أن الفصحاء يستعملون الوجوه العالية من الاستعمال في حين يصطنع عامة المتعلمين لغة دون ذلك، و"إذا تمثلنا العربية في حضورها الشخصي بتجلياتها في وسائل الإعلام، وهي كتابها المفتوح على المشهد العربي، ووجوه تداولها في وسائل التواصل الاجتماعي لوجدنا أدواء كثيرة ناجمة عن خلل في الاستعمال الصحيح، وتقاعس عن الإلمام بالقواعد، قعد بالناطقين بها عن تعلم نحوها، فأضحى تشكيل فقرة من أصعب المهمات، وتنضيد خطاب من أعوص المشكلات"[26]؛ وتتجلى أسباب ذلك فيما يلي:

- عدم امتلاكهم للحس اللغوي الرهيف، وعدم الرغبة في التعلم والتطور.
- استعمال تعابير البسطاء من المتعلمين مما يشيع في اللغة الإعلامية.
- ميل الإعلاميين إلى العامية المنحطة بعد أن كانوا يوظفون اللغة العربية النقية.
- الادعاء أن العربية لغة شعر لا لغة علوم عصرية ومعارف دقيقة عليا، واتهام اللغة بالجمود والعقم هو من ترويجات المبشرين الذي يقولون فوق ذلك إن العربية لا تصلح إلا لمجتمع بدوي وليست لسان الحضارة.
- تجافي المعلمين والأساتذة عن تلقين المتعلمين لغة عربية سليمة المخارج، صحيحة الصيغ، وغياب الرقابة الأكاديمية لمجامع اللغة العربية.
- سيطرة العامية على المنابر الإعلامية الفضائية، وغير الفضائية، واستفراد التلقّي الإعلامي والثقافي بالعامية في ترجمة المسلسلات الأجنبية باللهجات المحلية.
- الدعاية الكاذبة من طرف منابر أجنبية بعدم صلاحية اللغة العربية للعصر، أو حتى أنها مهددة بالانقراض[27].
- إنفاق العرب على إدخال اللغات الأجنبية في التدريس أكثر مما ينفقون على تطوير اللغة العربية، واقتحام اللغات الأجنبية اللغة العربية في مهدها وأرضها والهدف المبتغى أبعد من اللغة العربية هو إسقاط نفوذ القرآن الكريم ونفوذ الإسلام[28].
- عدم احترام الشروط العلمية الحقيقية في اختيار مراسلي بعض المجامع اللغوية، فيغلب على التوظيف الطابع السياسي، ويعود انحسار الدور المحوري الملقى على عاتق المجامع العربية إلى غياب التنسيق بين المجامع اللغوية[29]؛ وبين مراكز الأبحاث والعلوم في مختلف الميادين العلمية والاجتماعية، وانكفائها على ذاتها، مغردة بعيدا عن سرب المراكز العلمية والمؤسسات البحثية، والنتيجة غياب التكاملية المتوخاة لدخول اللغة العربية في مختبرات العلم والتقانة المتجددة[30].

- نقص الوعي الحضاري بقيمة اللغة أو توهم الرقي الشخصي باستعمال اللغة الأجنبية.
- إنشاء مصطلحات جديدة تقحم في الاستعمال دون حصافة، والأولى إنشاء ألفاظ لمعان جديدة لا توجد في العربية القديمة أصلا.

3- أوجه اضطراب الاستعمال: أضحت اللغة العربية في حياة الناطقين متباينة المستويات والأنماط، فيها خليط هجين، فهي العربية الفصحى في أداء التنزيل العزيز، والشعر الفصيح، وبعض الدراما التاريخية، ومأثور القول من الحكم والأمثال بمرجع المقدس والتراث، وهي العربية الفصيحة – ببعض التجوز – في نشرات الأخبار والبرامج الوثائقية، بمرجع الامتداد في الفضاء العربي، وهي الفصيحة بالقوة، وهي العربية المكتوبة (ذلك أنها لا تكون فصيحة بالفعل إلا عند النطق بها) كما في ترجمات البرامج والأفلام الناطقة بغير العربية، بمرجع العرف في رسم العربية.. وشبه الفصيحة، وهي عربية طوّرها بعض مراسلي الفضائيات بمقتضى تقريبها من مستوى لغة النشرة الإخبارية، بمرجع الحافز المهني والجدوى الاقتصادية لدى المراسل، والعربية الوسطى، عربية المتعلمين المحكية التي هي نمط لغوي يأتلف من الفصيحة المتعلمة والعامية المكتسبة، بمرجع الاقتصاد في الجهد، والعاميات العربية القطرية المتباينة، وهي خطاب المشافهة لدى العامة بأمر المكتسب بالسليقة، وفي المسلسلات الدرامية العربية المستفيضة بمرجع الواقعية أو النزعة الجهوية، والعاميات العربية المحكية، أو المكتوبة على غير نظام أو بالحرف اللاتيني في لغة الإعلان خاصة، بمرجع المصلحة الضيقة، وكثير من مخاطبات وسائل التواصل الاجتماعي بمرجع الاقتصاد في الجهد، أو استهواء الآخر وغياب السياسة اللغوية والعاميات المهجنة بالإنجليزية أو الفرنسية، بمرجع التباهي وتقليد الآخر، بمرجع الحاجة الضرورية إلى التواصل[31].

واليوم أيضا وفي كثير من البلاد التي تحررت من نفوذ الاستعمار لا زال النفوذ الفكري يزين لأهلها ويغريها بمدارس تقوم دراستها وبرامجها على اللغات الأجنبية، فضلا عن المدارس الجديدة التي يسمونها مدارس اللغات، وكذلك الأمر في معاهد الألسن التي لا تقوم برامجها على اعتبار اللغة العربية هي الأساس، فالمفروض أن تكون كل اللغات التي يتعلمها العربي أو المسلم خادمة للفكر الإسلامي، وإنما تقوم معاهد الألسن على فلسفة مغرقة في التبعية والولاء للأجنبي ويطمع المشتركون فيها أن تحتضنهم الدول الأجنبية في مناصب مغرية[32]؛ وبتنا نرى الآن ضعاف الكتاب والإعلاميين يتورطون في أخطاء فادحة دون ترو، وفيهم فئة من طبقة الخواص، وكان أوائل اللغويين غيورين على ألا يشيع اللحن في وسط الخواص، لأنه أضر على العربية إذ كانوا يمثلون القدوة، ورواج الخطأ على ألسنتهم مما يشين لغتهم، ويكون أقرب واسطة للوصول للعامة، بل وحجة على استعماله، وقد يقعون في ورطة مجاراة العامة في أخطائهم، وهو ما يقدح في فصاحتهم، وأشار الحريري إلى ذلك بقوله: "فإني رأيت كثيرا ممن تسنموا أسنمة الرتب، وترسموا بسمة الأدب قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم، وترعف به مراعف أقلامهم"[33]؛ ومن مظاهر اضطراب الاستعمال ما يلي:

- تحريف في نطق الألفاظ بعضها يدل الفتح فيها أو الضم على معنى، والكسر على معنى آخر مثل: العِلاقة تطلق على ما يعلق به الشيء للمحسوس الملموس، بينما العَلاقة تدل على الرابطة بين شيئين أو شخصين، وكذلك نقول الخِيار وليس الخَيار، والكِيان وليس الكَيان، ومَفاده والأصح مُفاده، ونقول ثُكنة وليس ثَكنة، والأصح منها الحِصن، وكذلك سِلبي، والأصح سَلبي من السلب أي الاختلاس.
- ظهور كلمات توظف لا أصل لها في اللغة العربية من قبل الإعلاميين، مما يدل على عدم التثقف السليم باللغة العربية، وتفضيل لغة الكلام والاستعمال دون ترو أو عودة للأصل، مع أن صحيح هذه الكلمات موجود في

القاموس العربي، مثل استعمال الصُّدفة، والأصح المُصادفة، الخَلوق والأصح في الاستعمال المُتخلق للدلالة على طيب الخلق، لأن الأولى نوع من الطيب، ونقول السؤال وليس التسول لأنها تعني معنى مغاير (استرخاء ما تحت السرة من البطن)، وكذلك الذائقة لا محل لها بل الأصح الذوق، ولا نقول شيق وشائق للتعبير عن شدة الشوق لأن معناها الجميل والجيد الأنيق، بل الأصح مشتاق [34].

- عدم توظيف بعض الصيغ في محلها المناسب، مثل عدم التمييز بين مازال الذي تلزمه ما ليدل على ملازمة الشيء في حين حرف لا إذا دخلت على زال صارت للدعاء له أو عليه؛ وكذلك استعمال حَوالي أو حَوالَ عند ذكر عدد تقريبي، وهي في الأصل تستعمل للدلالة على المكان لا على العدد.

- أضحت المعاجم الحديثة المؤلفة منذ النصف الثاني من القرن العشرين امتدادا للمعاجم القديمة لا جديد فيها سوى مراكمة آلاف الكلمات، وبعض المعلومات التاريخية التي لا تمت بصلة كبيرة للمعجم المعاصر، "فالعربية في العهد الراهن لا معاجم لها، فهي تتطور بمعزل عنها"[35]، ومن عيوب المعاجم العربية أنها لم تعد لائقة لاستعمال الناشئة من المتعلمين، ولا حتى الأدباء والكتاب لأنها قامت على إجراء المجرد والمزيد، فالمتعلم الباحث عن اسم خماسي أو سداسي يضطر إلى تجريد الاسم من زوائده المزعومة، ثم يبحث في ثلاثه في المعجم المظنون والمعجم في كل ذلك يجمع المادة على غير ترتيب داخلي فيها، ففي مادة فتح مثلا يقع تعريف فتح، فاتح، فتاح، مستفتح....[36]؛ وذلك من أكبر أسباب تخلف العربية وضعف استعمالها بين المتعاملين مما أعجزهم عن اكتساب ملكتها، كما لم تستطع المعاجم أن تتخلص من معاني اللغة الانزياحية في باب المترادفات لأنها من قبيل الإبداع الأدبي الذي هو موضوع البلاغة والنقد لا صناعة المعجم المهتم في الأصل بالمعاني الحقيقية؛ وحين تعوزها القدرة على شرح بعض الألفاظ، وتتوهمها واضحة تستعمل عبارة معروف، فالمعروف عند المعجمي لا يعني البتة أن يكون معروفا عند الناشئة أو الأجانب ممن يتوخون معرفة معنى من المعاني المشكلة[37].

خاتمـــة:

إن مسؤولية النهوض بالعربية ليست مسؤولية فردية فقط، ولكنها مسؤولية الأمة بهيئاتها المختلفة جميعا، ففي المستوى الأدبي ينبغي تعريف الجمهور العربي بالجهود العظيمة المباركة، التي قام بها علماؤنا القدامى، من أجل الحفاظ على الفصحى، ونزولهم البوادي لجمع اللغة، وتحملهم في سبيل ذلك المشاق والمصاعب والآلام، وأنه يجب علينا ألا نكون أقل منهم غيرة على الفصحى، لغة القرآن الكريم، ونشر الوعي بالآثار الحميدة التي تترتب على الالتزام باللغة العربية الفصحى، من التفاهم بين أبناء الوطن العربي، مما يؤدي إلى الوحدة المنشودة، وعدم الذوبان في الثقافات الوافدة.

وعلى الصعيد المادي ينبغي أن تنهض الأدوات الفاعلة بواجبها في توعية الجمهور العربي، بالمكائد التي يراد منها ضياع اللغة العربية، وفقدان الشخصية العربية الأصيلة، وأهم هذه الأدوات وسائل الإعلام، لما لها من تأثير كبير في التوجيه والإرشاد كما ينبغي نهوض من هم في موقع المسؤولية بالواجب الذي يحتم عليهم أن يكونوا قدوة صالحة في غرس الاعتزاز بالفصحى، كالرؤساء، والحكام، والملوك، والأمراء والوزراء، وأعضاء هيئات التدريس، وأعضاء المجالس النيابية[38].

ومن بين الحلول المقترحة لرفد اللغة العربية، وتلافي مزالق اضطراب الاستعمال ما يلي:

- مراجعة مناهج التعليم مراجعة جذرية بإلغاء المظاهر المتخلفة منها، وتكوين المعلمين والأساتذة تكوينا قاسيا وتشجيعهم ماديا ومعنويا.

- الحرص على تأليف معاجم للغة العربية بطراز عصري للمتخصصين المبتدئين الجامعيين وللعلماء المتخصصين يجعل على أوائل الكلمات لا على مبدأ مركزية المادة اللغوية مع الاعتبار بالتجريد والزيادة في اللفظة لكي نخلص الباحث من عناء التجريد الفردي مع تعميم التشكيل للتخلص من اللحن.

- ضرورة مراجعة المصطلحات النحوية والصرفية والاجتزاء بتقرير أهم الأبواب النحوية وأشدها أساسية على متعلمي المدارس.

- التركيز على انتقاء نصوص الأدب العربي العالية الصافية لينهل منها الناشئة لتفصح ألسنتهم، فيذوب تعلمهم للنحو كحاجة ضرورية في الاستمتاع بتذوق جمال العربية.

- ضرورة تعلم اللغات الأجنبية في إطار اللغة الأم حتى لا تعطى اللغة الجديدة ولاء معارضا للولاء الأصيل.

حاجة الإعلاميين إلى التكوين الدوري في اللغة العربية، لمعرفة جديد اللغة، وتقويم اللسان، وحري بأصحاب وسائل الإعلام أن يرتقوا بمستوى اللغة العربية لكي يفهمها المشاهد والقارئ.

- **الإحالات والهوامش:**

1- لا يمكن تناسي جهود جمعية العلماء المسلمين في الدفاع عن اللغة العربية، وتعميمها وتأميمها بنشر الصحف، والتعليم بها، وجعلها لسان الخطب والكتب، ومن خطب الشيخ ابن باديس في الدفاع عن اللغة العربية: "حياكم الله أبناء العروبة والإسلام وأنصار العلم والفضيلة، حوربت فيكم العروبة حتى ظُن أن قد مات منكم عرقها، ومسخ فيكم نطقها، فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وقدر خطباؤكم بشقاشقها، فتدك الحصون والمعاقل، ويهز كتابكم أقلامها..." ينظر شوقي أبو خليل، 1991 الإسلام وحركات التحرير العربية، ط5، دار الفكر، دمشق، ص 171.

2- أنور الجندي.1988 اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية. دار البيان. مصر، ص7.

3- السديمة هنا بمعنى شديدة التدفق، فمن معاني السدم المتدفق. ينظر قاموس المعاني على موقع www.almany.com نظر بتاريخ 2024.01.01

4- **عبد** الملك مرتاض، 2012، مائة قضية... وقضية، دار هومه، الجزائر، ص 292.

5- عبد العزيز حميد صالح، 2017، تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 40

6- ناصر محي الدين ملوحي، 2020، اللغة العربية أصل اللغات العالمية، دار الغسق، ص 56.

7- مقدمة كتاب درة الغواص، 1996 القاسم بن علي بن محمد بن الحريري، بقلم المحقق عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، ط1، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

8- من الكلمات الجديدة الصاروخ، التلفزة، المسرح، الخشبة، الأطروحة، ومما طرأ عليه تغيير في الدلالة المعجمية كلمة الفنان، الطريقة، الجريدة، المطبعة.

9- عبد الملك مرتاض، مائة قضية... وقضية، ص 297.

10- المرجع نفسه، ص 272.

11- من فرط اهتمام الأستاذ عبد الملك مرتاض بهذه الشهادة للباحث اليهودي الذي التقى به على هامش ندوة عالمية انعقدت بستراسبورغ سنة 1994، عنوانها: الميراث الثقافي العربي في أوروبا، تراه يكرر الحادثة في أربعة مقالات من كتابه مئة قضية وقضية، وفي كل مرة يعبر عنها بأسلوب مغاير.

12- شوقي أبو خليل، الإسلام وحركات التحرير العربية. ص 18.

13- أنور الجندي، اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية، ص 19.

14- عبد الملك مرتاض، 2012 نظرية اللغة العربية، دار البصائر، الجزائر، ص 190.

15- ناصر محي الدين ملوحي، اللغة العربية أصل اللغات العالمية، ص 65.

16- عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية، ص 205.

17- ناصر محي الدين ملوحي، اللغة العربية أصل اللغات العالمية، ص 68.

18- عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية، ص 205.

19- الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، ص 08.

20- أنور الجندي، اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية، ص 9.

21- ينظر درة الغواص في أوهام الخواص، ص 36.

22- محمد طلعت هلال، أحمد مبروك أبوزيد، مصطفى حمدي مسعود، 2018، اللغة العربية بين الأمل المنشود والواقع المرصود، ط1، ص 42.

23- نهاد الموسى اللغة العربية وسؤال المصير، 2013 مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص 12.

24- ينظر محمود فهمي حجازي، 1978. اللغة العربية عبر القرون، دار الثقافة القاهرة ص 18.

25- يرى الباحث عبد الملك مرتاض أن خرق القاعدة لا يأتي ممن لا يحذقون العربية فقط، بل يأتي أيضا تسامحا من لغويين كبار مثل استعمال كلمة انضاف بدل أضيف، وقد رفضه الحريري واستعمله ابن جني والهمذاني رغم أن القاعدة تقول انفعل إنما يكون في المتعدي، ينظر مائة قضية... وقضية، ص 270.

26- نهاد الموسى، اللغة العربية وسؤال المصير، ص 10.

27- عبد الملك مرتاض، مائة قضية... وقضية، ص 284.

28- ينظر أنور الجندي، اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية، ص 10.

29- يدعو عبد الملك مرتاض إلى إلغاء كل مجامع اللغة العربية المحلية لأنها لا تكرس إلا للقطيعة اللغوية وتأسيس مجمع موحد للغة العربية يضم نحاة ومعجميين ولسانياتيين؛ إذ مسخت بعض المجامع إلى معاجم قطرية، ينظر كتابه مائة قضية وقضية، ص 274.

30- تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها، وزارة الشباب والرياضة الإمارات العربية المتحدة، ص35 يوجد نسخة منه على موقع mckd.gov.ae .

31- نهاد الموسى، اللغة العربية وسؤال المصير، ص 18.

32- أنور الجندي، اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية، ص 16.

33- لحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، ص 08.

34- ينظر عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية، ص 220، 230.

35- المرجع نفسه، ص 195.

36- نفسه، ص 197.

37- نفسه، ص 200.

38- محمد طلعت هلال، أحمد مبروك أبوزيد، مصطفى حمدي مسعود، اللغة العربية بين الأمل المنشود والواقع المرصود، ص 46.

– قائمة المصادر والمراجع:

- أنور الجندي.1988 اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية. دار البيان، مصر.
- شوقي أبو خليل، 1991 الإسلام وحركات التحرير العربية، ط5، دار الفكر، دمشق.
- عبد الملك مرتاض، 2012 نظرية اللغة العربية، دار البصائر، الجزائر.
- عبد الملك مرتاض، 2012، مائة قضية... وقضية، دار هومه، الجزائر.
- القاسم بن علي بن محمد بن الحريري (ت516ه)، 1996، تح عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط1.
- محمد طلعت هلال، أحمد مبروك أبوزيد، مصطفى حمدي مسعود، 2018، اللغة العربية بين الأمل المنشود والواقع المرصود، ط1.
- محمود فهمي حجازي، 1978. اللغة العربية عبر القرون، دار الثقافة القاهرة.
- ناصر محي الدين ملوحي، 2020، اللغة العربية أصل اللغات العالمية، دار الغسق.
- نهاد الموسى اللغة العربية وسؤال المصير، 2013 مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.